المحاضرة الثالثة -3-

أوضاع الإمبراطورية الرومانية حتى أواخر القرن 3 ميلادي.

شهدت روما منذ تأسيسها ثلاث أنظمة حكم امتد أولها من 753ق.م-509ق.م وعرف بالنظام الملكي، حيث توسعت روما وزاد نفوذها داخليا، أما النظام الثاني فهو النظام الجمهوري الذي امتد من 509 ق.م-27 ق.م الذي تميز بتوسع روما خارجيا وتطور نظمها الإدارية على جميع المستويات.

ليأتي في الأخير عهد النظام الإمبراطوري الذي امتد بين 27 ق.م إلى 476م وهو أطول الأنظمة الرومانية الثلاثة عهدا، لذا استحق هذا النظام اهتماما من المؤرخين من جهة، وبما أنه مرحلة تمهيدية لتاريخ القرون الوسطى بأوروبا من جهة أخرى، فما هي أوضاعه إلى نهاية القرن الثالث ميلادي يا ترى؟

أوضاع العهد الإمبراطوري الروماني إلى نهاية القرن الثالث ميلادي:

1/ الأوضاع السياسية:

*- انقسام العهد الإمبراطوري إلى قسمين، الأول وهو الإمبراطورية الدستورية بين 27 ق.م -284من بينما عرف الثاني بالإمبراطورية المطلقة بين 284-476م وهو تاريخ سقوط روما.

*- بروز شخصيات رومانية قوية مثل أوكتافيوس الذي يعد من أقوى حكام فترة العهد الإمبراطوري الأول، حيث انتصر في معركة أكتيوم سنة 31 ق.م على منافسه ماركوس أنطونيوس وحليفته كليوباترا السابعة، فقام بتأسيس نظام جديد في شكل إصلاحات من بينها إطلاق دستور لروما وإنشاء منصب الحاكم الأعلى لقب صاحبه بالإمبراطور.

*- كان نظام الحكم في العهد الإمبراطوري الأول مزدوجا بين الإمبراطور ومجلس الشيوخ، وظهرت معالم ذلك في السلطات الثلاثة (التشريعية، القضائية، الإدارية) غير انه تقلص بمرور الزمن.

*- صادفت العهد الإمبراطوري الأول مشكلة انعدام قانون وراثي ثابت وهو ما انعكس سلبا على نظام الحكم، حيث فتح المجال لتدخل الجيش في تعيين الأباطرة، وتحوله من تابع إلى متبوع.

*- أما في العهد الإمبراطوري الثاني (284-476) فقد تحول نظام الحكم إلى حكم مطلق، تركزت فيه جميع السلطات بيد الإمبراطور بدءا من عهد الإمبراطور دقلديانوس.

2/ الأوضاع العسكرية:

*- ازداد نفوذ الجيش الروماني في كل المجالات حتى وصل به الحد إلى عزل الأباطرة وتعيين آخرين في محلهم، والحال ذاتها مع قادة الفرق العسكرية في مختلف الولايات دون العودة إلى رأي الأباطرة، وهو ما أدى بالإمبراطور كركلا (198-217م) إلى توصية أبنائه بعديد الوصايا، لعل أشهرها << أجزلوا العطاء للجند ولا تهتموا بالآخرين>>.

*- قام الجيش الروماني خلال الفترة الممتدة ما بين 235-285م بتصرفات طائشة، حيث تعرض خمس وعشرون إمبراطورا للقتل وهو ما أدى فيما بعد إلى تراجع هيبته الداخلية والخارجية، خصوصا بعد ظهور التحرشات الجرمانية على ناحيتي الراين والدانوب، وتزايد الخطر الفارسي على الجبهات الآسيوية.

*- شرع الأباطرة الرومان في حركات إصلاحية مست كل ما له علاقة بالجيش، لعل أبرزها إصلاحات دقلديانوس الذي أعاد تنظيمه وأنشأ فرقا جديدة ورفع أعداد الجنود، وكانت إصلاحات في محلها حيث قضى على الحركات الإنفصالية واسترجع مناطق كانت قد سقطت في يد الفرس.

3/ الأوضاع الإقتصادية:

*- عرف الإقتصاد الروماني انتعاشا كبيرا خلال القرنين 1 و2 ميلاديين بسبب ظهور الأسواق الجديدة وفتح طرق تجارية مختلفة، نتيجة الإستقرار والأمن الذي ساد البلاد لفترات مختلفة، غير أن ذلك الإستقرار لم يبقى على حاله، حيث أثرت الفوضى التي باتت تشهدها الإمبراطورية في النصف الثاني من القرن الثالث ميلادي على الإقتصاد بشكل واضح، وعلى رأسها الحروب الأهلية التي تسببت في فساد المحاصيل الزراعية المختلفة وجعلت الطرق التجارية غير مأمونة.

*- تأثر الإقتصاد الروماني بتزايد نفقات الدولة نتيجة ذلك العدد الكبير من العساكر الذين صاروا يتحكمون في الأموال الطائلة للإمبراطورية بدل توفير الخدمات المختلفة للسكان.

*- فقدت النقود الرومانية قيمتها حتى وصل الحد إلى دفع المرتبات والأجور بالغلال والحبوب بدل النقود، وتوقف النشاط التجاري بسبب تزايد الضرائب على السلع التجارية.

4/ الأوضاع الإجتماعية والدينية:

*- اشتد التنازع بين طبقات المجتمع الروماني في القرن 3 ميلادي رغم صدور قانون منح الجنسية لجميع سكان الإمبراطورية في عهد الإمبراطور كركلا سنة 212م.

*- انتشار الفوضى والقتل بسبب الاضطرابات التي كانت تشهدها الإمبراطورية وهو ما أدى إلى ظهور حالة اللا أمن خاصة في وقت الحروب والمجاعات.

*- بروز ظاهرة اللصوصية والتسول في أوساط المجتمع الروماني، حيث أثرت كثيرا على هيبة روما ومكانتها بين المجتمعات الأخرى.

*- ظهور الديانة المسيحية كمنافس قوي لعبادة الأوثان والأشخاص، وهو ما أدى إلى تزايد عدد القتلى في أوساط المجتمع الروماني من أتباع الدين الجديد، خصوصا على عهد الإمبراطور دقلديانوس الذي أسرف في إصدار المراسيم التي تضيق على من اتبع تعاليم المسيح (قتل، هدم أماكن العبادة، المنع من الصلاة، الحرمان من الوظائف والحقوق المدنية).